الفصل الثالث

وسائل الاتصال في العهدين الأموي والعباسي

اتسعت رقعة الدولة الإسلامية في العهد الأموي والعباسي الأمر الذي جعل الحاجة إلى الاتصال بوسائله المختلفة تزداد يوماً بعد يوم، وعليه فإننا ركزنا في هذا الفصل على دراسة الاتصال ووسائلة في العهدين المذكورين وذلك من خلال:

- وسائل الاتصال في العهد الأموي من سنة ٤٠هـ - ١٣٢ هـ .
- وسائل الاتصال في العهد العباسي من ١٣٢هـ- ٦٥٦هـ .

أولاً: وسائل الاتصال في العهد الأموي من (٤١ هـ - ١٣٢ هـ)

بعد استشهاد الخليفة الرابع علي بن أبي طالت رضي الله عنه سنة ٤٠هـ كانت الأمة في حاجة إلى صلح لجمع الشمل وحقن الدماء، وقد تم الصلح بين معاوية والحسن بن علي سنة ٤١هـ وتنازل الحسن بموجب هذا الصلح عن الخلافة لمعاوية بن أبي سفيان وبايعه في الكوفة عام ٤١هـ، واستبشر المسلمون بهذا الصلح الذي وضع حداً لسفك الدماء ودرء الفتن وسموا هذا العام عام الجماعة .

كانت هذه بداية الدولة الأموية التي امتدت من ٤١ هـ - ١٣٢هـ وعاشت زهاء الواحد والتسعين عاماً، وانتهت بنهاية إمارة آخر خلفاء بني أمية؛ مروان ابن محمد بن مروان [(١)].

ويؤكد هذا الأمر الشيخ محمد الخضير بك حيث يقول: إن الدولة الأموية التي بدأت بخلافة معاوية بن أبي سفيان عندما بايعه أهل العراق والشام عام ٤٠هـ الذي سمي فيما بعد بعام الجماعة لاتفاق كلمة المسلمين بعد الفرقة؛ وعليه تكون بداية هذه الخلافة في ربيع الأول سنة ٤١هـ [(٢)].

وفي عهد معاوية بن أبي سفيان بدأت مسيرة الدولة الأموية تتوسع حتى وصلت إلى السند شرقاً وإلى شمال أفريقيا غرباً وواصلت زحفها حتى تم لها فتح إسبانيا والبرتغال ووصل المسلمون إلى جبال البرانس في جنوب فرنسا[(٣)].

---

(١) عبد الشافي محمد بن عبد اللطيف، العام الإسلامي في العصر الأموي، ط١، ١٩٨٤م، ص١١٠.
(٢) الشيخ محمد الخضري بك، تاريخ الأمم الإسلامية، الدولة الأموية، القاهرة، المكتبة التجارية الكبري، ١٩٦٩م، ص١٥.
(٣) عمر فروخ، تاريخ صدر الإسلام والدولة الأموية، بيروت، دار العلم للملايين، ١٩٧٢م، ص١٢٨.

لقد احتاجت الدولة الأموية إلى وسائل اتصال عديدة لربط العالم الإسلامي المترامي الأطراف. ويتسائل الإنسان هنا عن وسائل الاتصال التي ربطت هذه الدولة وجعلت الأطراف المتباعدة مربوطة بالقلب – حاضرة الدولة – وجعلت هذه الدولة تعمر من سنة ٤١ هـ حتى سنة ١٣٢ هـ ويتعاقب على خلافتها أربعة عشر خليفة بين قوي مؤثر وضعيف أثره محدود .

نماذج من وسائل الاتصال في الدولة الأموية:

استخدم بنو أمية وسئل الاتصال التالية:

١- الخطابة. ٢- الكتابة.

٣- ديوان البريد. ٤- إرسال العمال إلى الأمصار.

الخطابة:

يورد الباحث خطبة معاوية رضي الله عنه في أهل الشام كنموذج للخطابة التي تمثل نوعاً من الاتصال الجمعي في دولة الخلافة الأموية .

خطب معاوية ذات مرة في أهل الشام واعتذر عن عدم سلوكه طريقة الخلفاء الراشدين قبله فقال: وأين مثل هؤلاء ؟ ومن يقدر على أعمالهم هيهات أن يدرك فضلهم أحد من بعدهم، رحمة الله ورضوانه عليهم غير أنني سلكت بها طريقاً لى فيه منفعة ولكم فيه مثل ذلك ولكم فيه مؤاكلة حسنة ومشارب جميلة ما استقامت السيرة وحسنت الطاعة فإن لم تجدوني خيركم فأنا خير لكم والله لا أحمل السيف على من لا سيف له، ومهما تقدم قد علمتموه قد جعلته دبر أذني وإن لم تجدوني أقوم بحقكم كله فأرضوا مني ببعضه.. وإياكم والفتنة فلا تهموا بها فإنها تفسد المعيشة وتكدر النعمة وتورث الاستئصال واستغفر الله لي ولكم[١].

ومن الأمثلة كذلك خطبة معاوية رضي الله عنه في آخر عهده، إذ خطب قبل موته قائلاً: إني كزرع مستحصد وقد طالبت إمارتي حتى مللتكم ومللتموني وتمنيت فراقكم وتمنيتم فراقي ولن يأتيكم من بعدي إلا من أنا خير منه، كما أن من كان قبلي خير مني، وقد قيل من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه. اللهم إني قد أحببت لقاءك فأحبب لقائي وبارك لي[٢].

---

(١) عبد الشافي محمد عبد اللطيف، مرجع سابق، ص١١٤.

(٢) عبد الرحمن بن خلدون، تاريخ ابن خلدون، ج٣، ط١، بيروت، دار الفكر، ١٩٨١م، ص٧٧.

ضربت مثلاً لخطبتين لمعاوية باعتباره مؤسس هذه الدولة وقد سلك من جاء بعده مسلكه خاصة في مخاطبة الرعية عند تولي الخلافة وفي المناسبات العديدة فقد كانت الخطابة إحدى وسائل الاتصال الشائعة والمهمة في دولة بني أمية ولهم خطب عديدة لا يتسع المجال لذكرها وحسبي أن أشرت إلى نموذج من هذه الخطب ذات الأثر في ربط الراعي بالرعية .

الكتابة:

لقد كانت الكتابة والمراسلات من أهم وسائل الاتصال في الدولة الأموية وفيما يلي نستعرض بعض الأمثلة التي توضح أهمية الكتابة وكيف ساهمت في ربط الدولة فيما بينها والدولة بالمجتمع والمجتمع بعضه البعض، لقد كان أكثر الخلفاء استغلالاً للكتابة عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه، لقد نسب المؤرخون أعمالاً تميز الخلفاء الأمويين عن بعضهم البعض فمثلاً عبد الملك بن مروان قد وحد الدولة، وفي عهد الوليد وسليمان توسعت الفتوحات العسكرية وانتظمت السياسة والإدارة وينسب إلى عمر بن عبد العزيز أنه قد اتجه إلى الشيء الأهم والأعظم والأبقى. حيث بذل كل جهده في نشر الدعوة الإسلامية في أقطار الأرض فكتب إلى ملوك الهند يدعوهم إلى الإسلام والطاعة على أن تبقي أملاكهم وإمارتهم بأيديهم ولهم ما للمسلمين وعليهم ما عليهم بلغت رسائل عمر ومذهبه في الحكم والحياة إلى هؤلاء فأسلموا وتسموا بأسماء عربية كما دفع عمر برسائله ووفوده إلى ملوك ما وراء الهند يدعوهم إلى الإسلام فاستجاب له كثير من الأهالي في تلك المناطق فأمر ببناء الحانات وهي أشبه ما تكون بالاستراحات الآن، لكي يأوي إليها الغرباء وتكون محطات للمسافرين والمنقطعين. كما كتب إلى ليو الثالث إمبرطور الروم يدعوه إلى الدخول في الاسلام[1] .

لقد شاعت الكتابة وأصبح العلماء يكتبون إلى الخلفاء فقد كتب الحسن البصري رسالة إلى عمر بن عبد العزيز جاء فيها: اعلم يا أمير المؤمنين أن الله جعل الإمام العادل قوام كل مائل وقصد كل جائر، وصلاح كل فاسد، وقوة كل ضعيف، ونصفة كل مظلوم ومفرح كل ملهوف، والإمام

(١) عبد الحليم عويس، بنو أمية، ط١، القاهرة، دار الصحوة، ١٩٨٧م، ص٢٩ – ٣٠.

العادل يا أمير المؤمنين كالراعي الشفيق على إبله الرفيق بها الذي يرتاد لها أطيب المراعي ويزودها عن مواضع الهلكة ويحيمها من السباع ويكفيها عن أذى الحر والقر والإمام العادل يا أمير المؤمنيين كالأب الحاني على أولاده يسعي لهم صغاراً ويعلمهم كباراً يكتسب لهم في حياته، ويدخر لهم بعد مماته، الإمام العادل يا أمير المؤمنين كالأم الشفيقة البرة بولدها حملته كرها ووضعته كرها وتفرح بعافيته وتقتم بشكايته [1].

واتسعت رقعة الدولة الإسلامية ودخل فيها أجناس عديدون من فرس وغيرهم وكبرت مسئولية الخليفة الذي لا يجد بداً من أن يستعين بالكتاب، ويلمع من كتاب الأمويين عبد الحميد بن يحي الكاتب، وكان وزيراً لمروان ابن محمد آخر خلفاء بني أمية الذي قتل عام ١٣٢هـ[2].

لقد بلغت الكتابة كوسيلة اتصال في دولة بني أمية شأواً عظيماً على الرغم من غلاء الورق وندرته .

إرسال العمال إلى الأمصار:

يعد هذا من أهم وسائل الاتصال في الدولة الأموية ولقد كان له أثر عظيم في تماسك الدولة، فقد حاول الخلفاء منذ قيام الدولة إرسال الرجال الأذكياء إلى الأمصار البعيدة لإدارتها وتصريف الأمور فيها، حتى يكون هذا العامل حلقة وصل بين الخليفة والرعية. وقد استمرت هذه الوسيلة تؤدي دورها منذ عهد معاوية بن أبي سفيان عندما استقل بالخلافة عام الجماعة بعث بالعمال إلى الأمصار [3].

ديوان البريد:

ساهم البريد في إدارة الدولة الأموية وكان واحداً من وسائل الاتصال الحديثة في تلك الدولة وكان وسيلة فاعلة، والبريد في المصطلح هو أن تجعل خيلا مضمرات في عدة أماكن فإذا وصل صاحب الخبر المسرع إلى المكان الآخر وقد تعب فرسه ركب فرساً آخر مستريحاً، فإذا وصل إلى المكان

(١) مصطفي الشكعة، معالم الحضارة الإسلامية، ط٢، بيروت، دار العلم للملايين، ١٩٧٥م، ص٢٢٤.
(٢) عبد الرحمن بن خلدون، مرجع سابق، ص٥.
(٣) المرجع نفسه، ص٥.

الآخر ركب فارساً آخر وهكذا إلى أن يصل إلى المكان المطلوب، وله معنى في اللغة إذ ذكر بأنه مسافة معلومة قدرت بإثني عشر ميلاً، وقدره الفقهاء وعلماء المسالك بأربعة فراسخ والفرسخ ثلاثة أميال وقد كان يطلق على الرسول البريد واللفظ عربي وقيل أنه فارسي. وقد كانوا يضعون البريد في أماكن معينة لحفظ الأموال وسرعة وصول الأخبار. وأدخل نظام البريد في الإسلام في عهد معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه، ثم أدخل عليه عبد الملك ابن مروان عدة تحسينات وبذلك أصبح أداة هامة في إدارة شئون الدولة، وبلغ من اهتمامه بالبريد أن أوصي أن لا يمنع عامل البريد من الدخول إليه ليلاً أو نهاراً لأن عدم دخوله ساعة قد يفسد أعمال الولاية سنة كاملة[1].

لقد استطاعت إدارة الدولة الأموية أن تستفيد من وسائل الاتصال المتاحة آنذاك في ربط القمة بالقاعدة وفي إدارة شئون الدولة الممتدة الأطراف والتي عاشت ردحاً من الزمن وسخر خلفاء الدولة وسائل الاتصال من اتصال شخصي وجمعي وأساليب خطابة والكتابة والمراسلات وبعث العمال والأمراء إلى الأمصار المختلفة أدخلوا نظام البريد السريع واختصار المسافات وقدروا أهمية ساعي البريد الذي سمح له أن يدخل إلى بعض الخلفاء ولا يمنع من ذلك ليلاً كان أو نهاراً .

ثانياً: وسائل الاتصال في العهد العباسي من سنة ١٣٢ هـ - ٦٥٦ هـ

حكمت دولة بني العباس حوالي خمسة قرون من سنة ١٣٢هـ السنة التي تولى فيها أبو العباس السفاح الخلافة إلى زوال هذه الدولة على يد التتار سنة ٦٥٦ هـ ١٢٥٨م، يقول صاحب الفخري في الآداب السلطانية: إن هذه الدولة من كبار الدول التي ساست العالم سياسة ممزوجة بالدين والملك فكان أخيار الناس وصلحاؤهم يطيعونها تدنياً والباقون يطيعونها رهبة أو رغبة ثم مكثت فيها الخلافة والملك حدود ستمائة سنة [2].

(١) حسن إبراهيم حسن، تاريخ الإسلام، ج١، ط٧، القاهرة، مكتبة النهضة المصرية، ١٩٦٤م، ص٤٥٩.
(٢) حسن إبراهيم حسن، تاريخ الإسلام، ج١، مرجع سابق، ص٢١.

استخدمت الدولة العديد من وسائل الاتصال وكان أبرز هذه الوسائل الدعاة، الكتابة، المسجد، نشر العلم، الكتاب، التجارة والتجار، والبريد، ونتناول كل وسيلة من هذه الوسائل بشيء من التفاصيل فيما يلي :

إنتشار الدعاة:

لقد ضيق الأمويون على البيت العلوي والعباسي لأن هذين البيتين نافسا الدولة الأموية ويرى كل بيت أن له حقاً مغتصباً من قبل الدولة الأموية خاصة البيت العلوي، وكان العباسيون يشدون من أزر العلويين إلى أن تنازل زعيم العلويين للبيت العباسي. ومن ثم استخدم العباسيون كل وسائل الاتصال لبث فكرتهم ومن ذلك الدعاة والنقباء والمبشرين وذلك من أجل الدعوة للعباسيين والترويج لهم وبحقهم في الخلافة وظل الدعاة يدعون سراً لمدة طويلة وفي تنظيم دقيق .

وقد بدأ أسلوب الدعوة بعد قدوم أبي هاشم عبد الله بن محمد بن الحنفية، وذلك عندما قدم على سليمان بن عبد الملك عام ٩٨هـ فأعجب به وقضى حوائجة وصرفه وضم إليه من سمة فلما شارف الشراه أحس بذلك وقال لأصحابة ميلوا بي إلى ابن عمي محمد بن على بن عبد الله بن العباس وهو يقيم بكذا من الشراه من كور البلقاء من أرض دمشق. فلما صار إليه أخبره بأن الخلافة صائرة إلى ولده وأفشى إليه أسراره وعرفه بالدعاة وقال له إذا مضت المائة الأولى فوجه دعاتك [1].

يتبين من هذا النص أن الدعوة والدعاة قد انتقلوا من البيت العلوي الذي يمثله عبد الله بن محمد بن الحنفيه إلى محمد بن علي بن عبد الله بن العباس الذي يمثل البيت العباسي وأن الدعاة الذين كانوا يدعون إلى البيت العلوي أصبحوا دعائم الاتصال للدولة العباسية .

تم تنظيم الدعاة تنظيماً دقيقاً وكانت الدعوة للدولة العباسية تقوم على أساس ديني ومن الأمور التي ساعدت رجال الدعوة قيامها على أساس ديني وأنها إلى جانب ذلك نظمت تنظيماً حقيقياً واستغلت العصبية. وكانت بداية الدعوة مطلع القرن الثاني الهجري .

---

(١) على عبد الرحمن العمرو، أثر الفرس السياسي في العصر العباسي الأول، القاهرة، مطابع الدجوي، ١٩٧٩م، ص٩٥-٩٦

خرج رسل الدعوة العباسية سنة ١٠٠هـ من الحميمة مركز قائد الدعوة محمد بن على بن عبد الله بن العباس وهم: ميسرة العبدي ومحمد بن خنيس وأبو عكرمة السراج وحيان العطار بعث أحدهم إلى العراق وثلاثة منهم إلى خراسان وقد أخفى محمد بن على نفسه بأن تكون الدعوة إلى واحد من آل البيت واختار مراكز استراتيجية من هذه المراكز الحميمة مركزاً للدعوة وهي أول مركز للدعوة تقع في موقع صغير في طريق القوافل التجارية بعيداً عن المسرح السياسي، وقد اتخذت الكوفة مقراً للدعاة في العراق لأنها ذات ولاء لآل البيت وكانت نقطة اتصال حيث تصدر التعلميات من الحميمة مع الدعاة الوافدين من خراسان لعرض نتائج مساعديهم وجهودهم في سبيل الدعوة في مناطق خراسان وليتلقوا الأوامر، واختار خراسان مقراً لنشاط الدعوة. واختيارهم لهذه المنطقة يدل على عبقرية ورجاحة عقل، ذلك لأن الاتصال يصبح سالكاً بينه وبين دعاته [١].

من الأقاليم التي كان للدعاة فيها أثر بليغ خراسان، حيث اتسعت الدعوة وتعمقت جذورها في سهول خراسان وجبالها ونشطت حركة الدعاة وأصبح لابد للدعوة من رئيس على درجة كبيرة من الكفاءة والقدرة يشرف على شئونها وينظم مسيرتها، وقد أوضح دعاة خراسان لإبراهيم الإمام الذي تسلم الدعوة بعد وفاة والده محمد ابن على احتياج الدعوة في خراسان إلى قائد وزعيم يتولى مسئوليتها ويضع الخطط للتحركات التي يقوم بها رجال الدعوة ويعد العدة إلى إطلاق الشرارة في اليوم المنتظر، فاختار لهذا الأمر رجلاً فارسياً في مقتبل العمر ذا حزم وعلم وهو أبو مسلم الخراساني أرسله الإمام إبراهيم ليتولى رئاسة الدعاة في خراسان سنة ١٢٧هـ وأمر الشيعة بالسمع والطاعة له [٢].

---

(١) على عبد الرحمن العمرو، مرجع سابق، ص٩٨ – ٩٩.

(٢) المرجع نفسه، ص١٠٩.

قد كان الدعاة والنقباء يتصلون سراً لفترات طويلة وكان أمرهم في طي الكتمان واسمتر هذا النوع من الاتصال إلى أن أُطيح بالدولة الأموية واتسع المجال أمام الخلافة العباسية [1].

الكتابة والمراسلات:

كان كل خليفة من بني العباس يتولى الخلافة يستكتب أفضل كتابة في رسالة تقرأ على أنصار الخلافة وهي بمثابة منشور في عصرنا الحاضر، وهذه الرسالة تحدد أهداف الخليفة وتوضح هويته. وقد اختبرت بشكل خاص لكي توجة لها وإلى أهلها هذه الرسالة. الرسالة تعدد مآثر الخليفة الجديد وتذكر فضائله ويجتمع الناس من كل حدب وصوب للاستماع لهذه الرسالة[2].

من أهم الرسائل كانت رسائل الخميس (الجيش) وقد كانت أخطر وأشهر رسائل الخميس جميعاً الرسالة التي كتبها أحمد بن يوسف للمأمون والسبب في ذلك أن المأمون تولى إمرة الدولة بعد فتنة دموية قتل فيها أخوه محمد الأمين وهو ولد الرشيد من زبيدة وهو عربي الأم والأب وكان الهدف من الرسالة تهدئة الناس ووضع القضايا أمامهم ولا يستطيع هذا إلا كاتب رسالة الخميس. ولهذا السبب كان خطر رسالة الخميس التي كتبها أحمد ابن يوسف والتي نعت بسببها أنه واحداً من ألمع كتاب العربية [3].

لقد كانت الكتابة من أهم وسائل الاتصال وبها يتم توثيق وتقييد الأمور الهامة فمثلاً عندماحضرت الوفاة أبا العباس السفاح كتب عهداً عهد فيه لأخيه أبي جعفر من بعده ثم إلى عيسى بن موسى وكتب هذا العهد وختمه بخاتمه وسلمه إلى عيسى بن موسى بن محمد العباس [4].

المسجد كوسيلة اتصال:

استمر المسجد يؤدي دوره كواحد من وسائل الاتصال في كل العصور منذ عصر النبوة حتى الخلافة الأموية، وقد استغل خلفاء دولة بني العباس

---

(١) حسن أحمد محمود، العالم الإسلامي في العصر الحديث، القاهرة، دار الفكر العربي، بدون تاريخ، ص ص١٥-١٦.
(٢) مصطفي الشكعة، مرجع سابق، ص٢٣٥.
(٣) المرجع نفسه، ص٢٣٦.
(٤) حسن إبراهيم حسن، مرجع سابق، ص٢٨.

وعمالهم هذه المؤسسة في الاتصال وترسيخ قواعد دولتهم وتماسكها، وقد كانت سنة واضحة سنها مؤسس الدولة الأول، فعندما تولي أول خلفاء بني العباس عبد الله بن محمد بن على بن عبد الله بن العباس وقف على المنبر وخطب الناس (الجماهير) وبين بعض سياسته في غضبه على بني أمية ونوه بفضل آل محمد ومدح أهل الكوفة وأهل العراق وقال: (أنا السفاح المبيح والثائر المبير) [1] يعني أنه المهلك واستمر للمسجد مكانته في الاتصال طيلة عهد الدولة العباسية واستغله كل الولاة والحكام، اشتهرت مساجد كبري في العالم الاسلامي كانت تقوم بدور رائد كوسيلة اتصال منها مساجد بغداد حاضرة الخلافة العباسية والكوفة ودمشق والمسجد النبوي والحرم المكي وغيرها من المساجد في أنحاء الدولة الإسلامية .

العلم والتعليم:

العلم والتعليم والتربية من علوم الاتصال التي يعول عليه في تماسك المجتمع ووسيلة ناجحة من وسائل الاتصال الجماهيري[2]، مما سهل الاتصال بين أفراد المجتمع في الخلافة العباسية نشر العلم الذي خلق جواً من الانسجام وتوحداً في المجتمع آنذاك .

عندما تولي العباسيون الخلافة أدركوا خطر ترك البناء الثقافي العام سائباً، كما أدركوا مكانة علماء المدينة وقيمة ما عندهم من علوم. وكان لابد من تعليم الأمة حتى تنسجم في الدولة الجديدة وأن تنسجم مع الخط العام الذي تبناه علماء المدينة. يروي ابن عبد البر أن أبا العباس السفاح لما ولي الخلافة بعث إلى المدينة فأقدم عليه عامة من كان في المدينة من أهل العلم وأن أبا يوسف صاحب أبي حنيفة المشهور درس على أولئك العلماء في بغداد. وتابع أبو جعفر المنصور هذه السياسة فحض علماء المدينة على القدوم إلى بغداد ويسر لهم مكانة مرموقة، وكان من بين قضاة بغداد عدد من أهل الحجاز منهم أبو يحيي بن سعيد الأنصاري وأبو عبد الله بن محمد الجمحي وسعيد ابن عبد الرحمن الجمحي، كما رحب بمقدم بن اسحاق وهو الذي

---

(١) المرجع نفسه، ص٢٢.

(٢) ابراهيم امام، الاعلام والاتصال الجماهيري، ط٣، القاهرة، مكتبة الانجلو المصرية، ١٩٨٤م، ص١٣

وضع كتاب المغازي والسير، وأخبار المبتدأ، ولم تكن قبل ذلك مجموعة ولا معروفة. وكان أبو جعفر قد نظم في العلم وقرأ المذاهب والآراء، ووقف على النحل وكتب الحديث فكثرت في أيامه روايات الناس وكثر علومهم، وتابع المهدي الاهتمام بعلوم الإسلام والعناية بعلماء المدينة فجلب سنة ١٦٠هـ عدداً من أهل المدينة وسكنهم بغداد وقربهم إليه وأغدق عليهم العطاء وأطلق عليهم اسم (الأنصار) وكانت لهم في بغداد قطيعة وقنطرة ومسجد ومقابر خاصة بهم، كما كان لهم نقيب خاص. عمل هؤلاء العلماء بتشجيع من الخلفاء العباسيين الأولين على نشر علوم القرآن والحديث والفقه وسيرة رسول اللهﷺ وأخبار العرب وشعرهم وهي علوم سبق وأن وضع العرب أسسها وتعهدوها لأنها معبرة عن ميولهم واتجاهاتهم السابقة .

وقد كان لنشر العلوم أثر كبير في توحيد المجتمع وتماسكه حيث أصبح العلم والتعليم بمثابة وسيلة اتصال تحكمت في أن ينسجم المجتمع .

وسرعان ما اتضحت معالم التعليم والتعلم وازدادت العناية به وتقديره، وأصبح العلماء في هذه العلوم لهم الحظوة الأولى كما أصبحت بغداد حاضرة الدولة العباسية المركز الأول والأكبر لهذه العلوم في الدولة الإسلامية ومن هذه المراكز تتدفق العلوم والمعلومات وينتشر العلماء القائمون بالاتصال حول سائر أمصار ونواحي الدولة العباسية [1].

كما شاع التعليم الذي أسهم في الاتصال إلى جانب نشر العلم، وبذا أسهم التعليم في ربط الأجيال بعضها ببعض ونقل التراث من جيل إلى جيل ولذلك كان اهتمام الدولة العباسية به مما ساعد على ازدهاره في هذه الدولة حيث قامت معاهد ومؤسسات تبنت التعليم .

وأحب أن ألقي الضوء على هذه المؤسسات:

١/ مدارس الكتاب: وقد كانت هذه المدارس منتشرة وكان بها قدر من المعلمين، قال ابن قتيبه من المعلمين علقمة بن أبي علقمة مولى عائشة

(١) صالح أحمد العلي، العراق في التاريخ، بغداد، دار الحرية للطباعة، ١٩٨٢م، ص ص٢٨٨ – ٢٨٩.

كان يروي عن مالك بن أنس وكان له مكتب يعلم فيه العربية والنحو والعروض.

ومات في خلافة أبي جعفر المنصور وبعض المعلمين كانوا يعلمون حسبة؛ أي لا يأخذون أجراً. وروى ابن قتيبه أن الضحاك ابن مزاحم وعبد الله ابن الحارث كانا يعلمان ولا يأخذان أجراً وبعضهم كان يأخذ أجراً من الصبيان[1].

٢/ المسجد: لقد كان المسجد أكبر معاهد الدراسة في تلك العصور ولم تكن المساجد للعبادة وللخطابة والاتصال وحدها ولكن كانت تؤدي فيها أعمال عديدة ومفيدة. وقد كانت للعبادة وللخطابة والاتصال والذي يهمني هنا أن المسجد كان مكاناً للاتصال ولنقل التراث من جيل إلى جيل [2].

كان المسجد أكبر معهد لنقل التراث وربط المجتمع بعضه البعض وربط الراعي بالرعية. أذكر من هذه المساجد التي كانت تقوم بدور التعليم والتربية، مسجد عمرو بن العاص ومسجد البصرة ومسجد الكوفة بالإضافة إلى الحرمين المكي والنبوي وغيرهما من المساجد التي كانت تقوم مقام المدارس والجامعات في العصر الحديث .

لقد كان المسجد مكاناً للتعليم والتعلم من عهد الرسول ﷺ وكان وسيلة اتصال بين المسلمين بل كان أهم وسائل الاتصال في ذلك العهد المبكر. واستمر مكانا لتعليم القرآن والحديث وللقصاص يعظون فيه الفقهاء يعلمون الفقة مدة العهد الأموي. وعندما تنوعت العلوم في العصر العباسي تنوعت كذلك حلقات الدروس فنجد حلقات الشعر والأدب وغيرها من العلوم[3].

٣/ مجالس المناظرة: من أهم معاهد العلم التي أدت إلى انسجام المجتمع معاهد العلم ومجالس المناظرة في الدور والقصور وبين العلماء وفي حضرة الفقهاء وذلك بنشر علوم الفقه والنحو وغيرها من العلوم آنذاك وقد سجلت

---

(١) أحمد أمين، ضحي الإسلام، ج٢، ط١، القاهرة، مكتبة النهضة المصرية، ١٩٧٩م، ص ص٥٠ – ٥١.
(٢) المرجع نفسه، ص ص٥٠ – ٥١.
(٣) المرجع نفسه، ص٥٠.

كل المناظرات بين الفقهاء والعلماء وأصحاب المذاهب وحفلت بها كتب التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية .

٤/ المكتبة: الى جانب المعاهد الأخرى التي أسمهت في التعليم وتعديل الرأي العام بل وتوجيهه كانت المكتبة. وأول مكتبة عامة أسمهت في الاتصال الثقافي والحضاري هي مكتبة (دار الحكمة) التي أنشاها المنصور في بغداد وجمع لها الكتب اليونانية من الإمبراطورية وترجمت إلى العربية. وكانت تحوي كل العلوم التي اشتغل بها العرب وقد ظلت تؤدي دورها إلى أن جاء التتار سنة ٦٥٦ ـ وجاسوا خلال الديار الإسلامية ودمروها تدميراً [١].

٥/ الكتاب: لقد كان الكتاب وسيلة اتصال قوية وناجحة في الدولة العباسية، فمثلاً عندما إحتدم الخلاف بين الشعوبين والعرب كل ألف الكتب في مثالب الآخر ومدح بالطبع نفسه. يروي لنا التاريخ أن سعيد ابن حميد البختكان قد ألف كتاباً أسماه (إنتصاف العجم من العرب) وكتاب (فضل العجم على العرب وإفتخارهم) وبعضهم وضع الكتب في تلك الحقبة لتكون إحدى الرسائل التي تساهم في الاتصال في ذلك العهد وكانت تقوم بوظائف المطبوع الذي يسهم في الاتصال والذي له كثير من المميزات، لقد أصبحت الكتب من وسائل الاتصال ذات الأثر القوي وكتبت الكتب ورد العلماء على بعضهم البعض حيث كتبت كتباً كثيرة في علم الكلام وشاعت الكتب والردود عليها [٢].

٦ / حركة التجارة والتجار: لقد أسهم التجار في تحركاتهم التجارية .. أسهم هؤلاء في الاتصال وربط الدولة. وقد شجع الخلفاء التجارة، عندما حفروا الآبار وأقاموا المحطات على الطريق التجاري وعلى طرق القوافل كما أنشاؤا المنابر على الثغور، وأدى وصول المسلمين الأوائل إلى سواحل أفريقيا الشرقية وسرنديب (سيلان) والملايو والصين وإلى كثير من الجهات أدى هذا إلى تنوع السلع وانتشار الإسلام حيث ما وصل قدم التجار المسلمين [٣].

---

(١) المرجع نفسه، ص٦٦ .

(٢) عبد الرحمن بدوي، مذهب الاسلاميين ج ١، ط٢، بيروت، دار العلم للملايين، ١٩٧٩م، ص٢٠٦

(٣) شوقي ابو خليل، الحضارة العربية والاسلامية، ط١، طرابلس، منشورات كلية الدعوة الاسلامية، ١٩٨٧م، ص ٢٣٨

كان التجار من القائمين بالاتصال في الدولة العباسية وكانت التجارة صلة بين الشعوب الإسلامية وغيرها. وقد اتصلت الشعوب عن طريق التجارة وهو اتصال حضاري مشهود له في ربط الحضارات والثقافات ونقلها، والتجارة في العصر العباسي إزدهرت وبلغت أوجها والسبب اتساع رقعة الدولة وتنوع الأقاليم الأمر الذي أدى إلى تنوع المناخ في هذه الدولة.

٧ / **البريد:** لقد أصبح البريد في العهد العباسي محكماً جداً والخطابات كانت ترسل بالخيل وزيد عدد الخيل في المدن الرئيسية. وكانت هذه الخيول تقطع مسافة خمسة أيام في يوم واحد وعبر البريد حتى بلاد الهند وربطت مدن بغداد والبصرة والأهواز وشيراز ومنها إلى مدن نرماشر ومكران ثم إلى كير في بلاد الهند. وفي محطات في طريق البريد الصادر من بغداد إلى شرق الخلافة العباسية. إن النظام البريدي في الخلافة العباسية كان بالغ التنظيم وأدى إلى ربط أقاليم البلاد بحاضرة الخلافة في بغداد ربط القلب بالأطراف[1].

لقد حاولنا أن نورد أهم وسائل الاتصال على عهد الخلافة العباسية إجمالاً من غير تفصيل وذلك خشية الإطالة، وحسبي أن فُتح الباب أمام الباحثين للدراسة التفصيلية، هذا من ناحية ولأن مهمة هذا البحث واسعة لا تستقصي كل كبيرة وصغيرة ويكفينا أن قدمنا سبعة وسائل الاتصال في الخلافة العباسية، كانت هذه الوسائل مجتمعة ذات أثر عظيم في تماسك الدولة وكانت تصل الراعي بالراعية وكذلك الرعية ببعضها البعض. لقد بدأت الحديث عن الدعاة الذي كانوا يتصلون على بعضهم البعض سراً في أول الدعوة للخلافة العباسية والكتابة التي استغلها الخلفاء والمساجد والمعاهد والحركة العلمية التي ساعدت في إنسجام المجتمع. وغيرها من وسائل الاتصال كالتجارة والكتاب وأخيراً البريد الذي كان متطوراً في عهد الخلافة العباسية.

---

(١) محمد يوسف النجرامي، العلاقة السياسية والثقافية بين الهند والخلافة العباسية، ط١، بيروت، دار الفكر، ١٩٧٩م، ص٦٤